محمد إقبال سيرته ومصادر ثقافته

د. أبوهداية محمد إسماعيل*

زاكي الدين عبد الله عمر**

مستخلص

تناولت هذه الدِّراسة الشاعر الهندي محمد إقبال سيرته ومصادر ثقافته. هدفت إلى دراسة أثاره دراسةً مستقصيةً تعين على الكشف عن مصادر تلك الفلسفة الذاتية التي سادت مظاهرها جملة مؤلفات الشاعر، وتجلت من خلال أشعاره بصورة أكثر وضوحاً. وكل ذلك بعد تمهيد بالتعريف بحياة الشاعر التي ساعدت على صبغ شخصيته بتلك الثقافة. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وقد خلصت الدراسة إلى أن أبرز مصادر فلسفة الشاعر استمدها من بيئته الدينية التي نشأ وسطها، وحفظه للقرآن وتلاوته له صباح مساء، ودراسته للعلوم الدينية وللغتين العربية والفارسية وآدابهما.

توصي بدراسة مدى تأثير رسالة الغفران وسفر الأفلاك على رسالة الخلود لمحمد إقبال.

Abstract

This study deals with the Indian poet Muhammad Iqbal his biography and sources of culture . The study aimed to surveyhis literary heritage, to reveal the sources of his own philosophical visionthatmanifested throughout the poet's writings, andmore clearly through his poems.This was preceded by a preface with an introduction to the poet’s life, which influenced his personality with that culture. The study followed the descriptive analytical method. The study concluded that the most prominent sources of the poet’s culture were derived from his religious

* أستاذ الأدب والنقد المشارك– جامعة كردفان– كلية التربية.

** باحث– وزارة التربية والتعليم – غرب كردفان

environment in which he grew up, his memorization of the Qur'an and his recitation to it morning and evening, and his study of religious sciences and the sciences of the Arabic and Persian languages and their literature.The study recommended the study of the impact of the "Message of forgiveness"(*Risalat al-Ghufran*) and "The Divine Comedy" on the "Message of immortality" (*Risalat al-Kholood*) by Mohammed Igbal

المقدمة:

الحمد لله خير ما بدئ به الكلام وختم. وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم.

ينفرد الأدب الهندي من بين الآداب العالمية المختلفة بخصوصية شغله مساحة واسعة في عالم الإبداع، فقد خلّفت الذهنية الهندية تراثًا ضخمًا في مختلف ضروب المعرفة الإنسانية، ورفدت المكتبة العالمية بعدد من المؤلفات، حيث ظهر مجموعة من العلماء، والأدباء والشعراء المميزين الذين أسهموا بفاعلية في ترسيخ مبادئ وقيم الإنسانية، والنهوض بالأفكار.

السيرة الذاتية بوصفها جنس من الأجناس الأدبية التي وجدت اهتمامًا كبيرًا ومبكرًا من القدماء حيث اعتنوا بها، فترجموا للمبرزين والأعلام في مختلف ضروب الحياة ومجالاتها قديمًا وحديثًا، فهي تتناول الجانب العامر بالحياة، والنابض بالقوة من حياة الشخصية، وذلك باستعراض محطاته الحياتية وتعقبها بصدقٍ في نقل الأحداث، وأمانة في عرضها. فخطاب السيرة الذاتية خطاب يقوم على أحداث الحياة وما يعتريها من

وقائع تصبغ أفكار ومشاعر الشخص، وتشكل دواخله، فتؤثر مباشرة في نتاجه العقلي.

جاءت هذه الدراسة محاولة للحديث عن سيرة أحد أولئك الشعراء الذين أسهموا في حياتنا الأدبية إسهامًا فاعلاً، حيث ترك أثرًا واضحًا من خلال مؤلفاته الشعرية، وقد وقع اختيارنا على الشاعر الهندي محمد إقبال؛ لأنه حظي بمكانة مرموقة بين أعيان عصره، إذ كان واحدًا من الأدباء الذين قدموا للبشرية نتاجًا علميًا في مجال الأدب والفلسفة؛ في محاولةٍ لإماطة اللثام عن سيرته الذاتية، والوقوف على مؤلفاته الشعرية التي حملت خلاصة تجاربه وأفكاره، وعكست فلسفته الذاتية في الحياة.

المحور الأول

سيرة محمد إقبال.

أولاً: نشأة محمد إقبال:

ولد شاعرنا العظيم محمد إقبال في عام 1877م بمدينة سيالكوت بالبنجاب– الهند[1]، التي اختارها جده (شيخ رفيق) بعد هجرته وإخوته من قرية (لوبهار) في سنة 1875م بحثاً عن الأمن. عمل رفيق جد إقبال بتجارة الأصواف والأقمشة، وفي مدينة سيالكوت أنجب رفيق أبناءه شيخ نور محمد (والد محمد إقبال) وشيخ

1– ديوان محمد إقبال،إعداد. سيد عبد الماجد الغوري، ط3، دار ابن كثير،دمشق / بيروت، 2007، ج1، ص:34.

غلام قادر، وقد ورث إقبال تجارة أبيه المتواضعة، وأضاف إليها امتهان التفصيل والخياطة .[1]

عاش محمد إقبال في أسرة مسلمة آلت على نفسها ترسيخ قيم الدين الإسلامي الفاضلة من تقوى، وورع، وخشية من الله في مجتمع اعتنق الدين الإسلامي وتربى أبناؤه على مفاهيم الإسلام ومبادئه. أثرت هذه النشأة الدينية في مسار حياة محمد إقبال فشكلت عقله ووجدانه، وهيأته ظروف نشأته تلك وفي ظل تلك الأسرة المسلمة من أن يكتسب قيم العدل والصدق والأمانة والتقوي والاستقامة.

والدة شاعرنا العظيم محمد إقبال كانت امرأةً تقيةً ورعةً ومن شدّة ورعها؛ رفضت أن تُطعمَ بنيّها من دخل أبيهم المتأتي من مهنة التفصيل والحياكة. وهكذا اضطر والد إقبال إلى الاتجاه إلى العمل التجاري حيث افتتح متجرًا بسيطًا لبيع الملابس، وظلت الأسرة تعيش على ما يدره ذلك المتجر من رزق حلال وإن كان قليلاً.[2]

ولما علّت سن الوالد أعطى المتجر لابنه الأكبر شيخ عطا محمد الذي أصبح مسؤولاً عن الأسرة بالنيابة عن الوالد، وقد عمل على تعويض ذلك النقص بأفضل ما يكون بالاهتمام بتعليم شقيقه الأصغر محمد إقبال.[3]

إن تواضع تجارة والد محمد إقبال ومهنته لم يحطّا من قدره في مجتمعه، فقد أولاه ذكاؤه الحاد والتزامه الجاد بتقاليد الدين وجواهره ومظاهره مكاناً عالياً في مجتمع القوم ولرفقه ورشده، وحصافته البادية؛ طفق القوم يدعونه بـــ(الفيلسوف العظيم).[4]

1- النهر الخالد،جاويد إقبال،تعريب.ظهور أحمد أظهر،مراجعة.عبد اللطيف سهيل الخياط،د.ت،ص:29.

2- محمد إقبال،سيرته – فلسفته- شعره،عبدالوهاب عزّام،مؤسسة هنداوي،2012م،ص 27.

3- شكوى وجواب شكوى،محمد وقيع الله أحمد،جامعة خليفة،الشارقة،د.ط،د.ت،ص 96، 97.

4- المرجع نفسه ص96.

ثانياً: تعليم محمد إقبال:

في طفولته الباكرة ذهب إقبال إلى مدرسة قرآنية لتعلُّم قراءة الكتاب الكريم، كان من أبرز أساتذته في هذه المدرسة (مير حسن)[1]. وكان على معرفة بالعربية والفارسية، وكان يُعلِّم مبادئها للأطفال، وقد برز إقبال في دروس هاتين المادتين، لما لفت نظر الشيخ سير مير حسن إلى مقدرات محمد إقبال ومواهبه الأدبية فشجعه على صقلها، وعرف والد إقبال لاحقاً وحدثه عن المستقبل اللامع الذي ينتظر ابنه النابغة. وقد أتيح لمير حسن أن يعمل فيما بعد أستاذاً للغة العربية بالكلية الإرسالية الهولندية، ولما تخرج محمد إقبال من المدرسة الثانوية عام 1892م عمل مير حسن على إقناع والد إقبال بتركه ليكمل تعليمه الجامعي فدخل إقبال الكلية الإرسالية الهولندية في عام 1893م ليدرس الآداب، وهنا تفتحت مدارك إقبال على نحو أوسع، وزاد على حضوره للدروس حضور دروس الآداب التي كان يلقيها أستاذه القديم مير حسن بمنزله، ويحضرها فحول شعراء العربية والفارسية، وواصل الأستاذ تشجيع تلميذه القديم الذي رافقه من مدرسة الطفولة إلى الجامعة، ولم يكن مير شاعراً ولكنه كان مرشداً في فهم الأشعار وتحليلها وتعليم نظمها وصناعتها .[(2)]

وبرز أستاذ آخر متخصص في الشعر الأردي وتصدى لتعليم إقبال تلك الناحية، هو نواب ميرزاخان (1831 – 1905م) وهو شاعر مبرز في اللغة الأردية، وكان شعراء الأردية الناشئون وغيرهم يستشيرونه في قواعد العروض وفنيات

1· هو من المنتسبين لآل البيت، وكان أستاذاً للغة العربية في كلية سيالكوت، وكان متضلعاً في الأدب الفارسي، وعلماً من أعلام البلد.* محمد إقبال،سيرته – فلسفته – شعره،عبدالوهاب عزّام، ص 28.

2- شكوى وجواب، محمد وقيع الله أحمد، ص:97- 98.

النظم فيعطيهم طلباتهم من ذلك، ويزودهم بتقويمه لنتائج شعرهم مع إرشادات ومقترحات لتحسينه وصقله .[1]

من هؤلاء الشعراء الناشئين كان إقبال الذي يبعث إليه بقصائده الأولى وبعد آونة قصيرة بعث نُوَّاب ميرزاً إلى إقبال قائلاً: أن هنالك مجالاً قليلاً جداً لإجراء تحسينات على نظمك الشعري.[2]

أما من الناحية الروحية فقد تتلمذ على الشيخ جلال الدين العطّار وتأثر بسيرته وشعره وفيه قال :[3]

صَيَّر الرُّومِي طِيْنِي جَوْهَراً *** مِنْ غِبَارِي شَادَ كَوْنا آخرا
ذرةً يَصْعُدُ مِنْ صَحْرَائِها *** لِتَنَالَ الشَّمْسَ فِي علیائِها
إنّنِي فِي لُجَّةٍ مَوْجٍ سَرَى *** لِأُصِيَب الدُّرَ فِيه نَيِّرا

في عام 1895م أكمل إقبال السنة الثانية بالكلية الإرسالية واعترف أساتذته بملكاته الأدبية والفكرية، وشجعوه على المواصلة في دراسته فانتظم بالكلية الحكومية بلاهور حيث درس الآداب العربية والإنجليزية والفلسفة وتخرج منها حيث نال منحة دراسية لإحراز درجة الماجستير في الفلسفة.

في عام 1899م نال إقبال الميدالية الذهبية، لأنه كان الطالب الوحيد الذي اجتاز الاختبار النهائي الشامل، وفي الثانية والعشرين من عمره ذاعت سمعته كشاعر محسِّن، وبدأ يشارك في مسابقات قرض الشعر، ونال اعتراف المحكِّمين والشعراء المتبارين ثم نال الماجستير في الفلسفة وذلك في العام 1899م.[4]

1- المرجع نفسه،ص:97- 98.

2- المرجع نفسه،ص:99 - 100.

3- محمد إقبال،سيرته – فلسفته – شعره،عبدالوهاب عزّام، ص:77.

4- مملكة البيان، عائض بن عبدالله القرني، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1422،1-2001م، ص:107.

وكان من أساتذة إقبال في التعليم الحكومي بلاهور المستشرق البريطاني البروفسور توماس آرنولد صاحب الكتاب العظيم (الدعوة إلى الإسلام) الذي لا يزال أفضل دراسة تاريخية تحليلية مقارنة عن ظاهرة انتشار الإسلام في الزمن القديم، وقد أعجب آرنولد بمزايا إقبال ومواهبه وجده في الدراسة، وأصالته في التفكير ومن ثم سعى لإقناعه بضرورة الالتحاق بالجامعات الأوربية لاسيما البريطانية منها وهكذا اتخذ إقبال في عام 1905م طريقه إلى أوربا لمواصلة الدراسة العليا بتسهيلات من آرنولد وبدعم مالي من أخيه شيخ عطا محمد ولم تكن موارده الخاصة تكفي لذلك لأنّ عمله كان وجيزاً ولم يكن مجزياً.[1]

حفظ إقبال ذلك الفضل لأخيه وحتى عندما دبَّت بينهما الخلافات بسبب اعتناق الشيخ عطا لمبادئ الدعوة الأحمدية فإنه حفظ لأخيه الود والاحترام، وقد انخرط في بريطانيا في دراسة القانون ونال إجازة القانون في يوليو عام 1908م.[2]

وفي خلال جهاده لنيل درجة إجازة القانون كان يقضي برامج دراسية على مستوى البكالوريوس بكلية الإلهيات بجامعة كمبريدج حيث نال إجازتهما في عام 1907م ثم نال درجة الماجستير.[3]

بعد أن نال ما يطلبه من العلوم ببريطانيا، فكر إقبال في أن يواصل دراسته لنيل جائزة الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية، وأجرى بحثاً أولياً عن متطلبات الدراسة بجامعاتها بعد أن شجعه على ذلك أستاذ كندي كان يعمل مسجلاً للكلية الشرقية بلاهور، ولكن كان من فضل اهتمام البروفسور توماس آرنولد بتلميذه النابغة أن تحدث مع بعض فضلاء الأساتذة الألمان ليمنحوه الفرصة لمواصلة

1- المرجع نفسه،ص:107.

2 - ديوان محمد إقبال،سيد عبدالماجد الغوري،ج1،ص:19.

3- مملكة البيان، عائض بن عبد الله القرني،ص:107.

دراساته الأكاديمية فاستجابوا لذلك الطلب، بل تجاوز عن المتطلبات الدراسية العادية التي تُعرض على طلاب الدكتوراه فأعفوا محمد إقبال منها.[1]

هكذا أمكن لإقبال أن يشرع في كتابة أطروحته بدون أن يحضر دروساً كانت تستغرق ما بين عامٍ ونصف إلى ثلاثة أعوام، كما سُمحَ بأن يكتب أطروحته باللغة الإنجليزية على أن يعرضها شفاهة ويدافع عنها أمام لجنة المناقشة باللغة الألمانية، واستطاع أن ينتزع بجدارة جائزة الدكتوراه في الفلسفة في 4 نوفمبر 1907م عن أطروحة بعنوان (تطور الميتافيزيقيا في فارس)، وقد طُبعت الرسالة في العام التالي، ولم يفت على إقبال أن يحفظ لأستاذه العظيم آرنولد فضله فأهدى تلك الرسالة إليه اعترافاً بجميله في تسديد رسالة إقبال العلمية[2]. لبث إقبال في أوربا زهاء ثلاث سنين ثم رجع إلى وطنه سنة 1908م.[3]

قدمت له كلية عليكرة عرضاً للتدريس بها اعتذر عنه بدافع الحفاظ على الوقت وتكريسه للعمل الأدبي والفكري، ولم يكن يكسب كثيراً من عمله بالمحاماة لأنه قام على النزاهة، ولأن حاجته إلى المال لم تكن تزيد عن سبعمائة روبية ولذا كان يعتذر عن طلبات المرافعة بعد اليوم العاشر من الشهر إذا كان قد حصل على نحو ذلك المبلغ.[4]

في عام 1922م ظهر ديوان إقبال الذي حمل عنوان (أسرار الذات) في طبعة إنجليزية وحققت به شهرة ذائعة في الغرب، فمنحته الحكومة البريطانية لقب (سير) من قبيل الاعتراف والتكريم وكسب عاطفة مسلمي الهند .[5]

1- المرجع نفسه،ص:97- 98.

2- شكوى وجواب،محمد وقيع الله أحمد،ص:103.

3- المرجع نفسه،ص:103.

4- المرجع نفسه،ص:97- 98.

5- المرجع نفسه،ص:41.

في عام 1926م، اشترك إقبال في الانتخابات التشريعية منافساً على مقعده في دائرة المسلمين في لاهور، ففاز فوزاً كبيراً بنيله نحو ثمان وستين بالمائة من أصوات الناخبين، وذلك مع أنه لم يوجه حملة انتخابية قوية ويتحرك أو يتحدث بعيداً عن بيته، وإنما تكفلت شهرته بجلب الأصوات له.

في عام 1928م سافر إقبال إلى مدينة مدراس في جنوب الهند ملبياً دعوة من رابطة مسلمي المدينة، وقدم ست محاضرات كان قد أنفق ثلاثة أعوام في إعدادها، وعدّها المراقبون ذروة نضجه الفلسفي، وهي التي نُشرت فيما بعد بعنوان: (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام).

في عام 1932م سافر إقبال إلى أوروبا لحضور مؤتمر المائدة المستديرة لتدبير مستقبل الهند بعد الاستقلال، وقد قضي أربعة أشهر هناك طاف فيها بعدد من الأقطار والتقى بعدد من أقطاب السياسة والفكر .[1]

في أثناء تلك الرحلة زار مدريد، حيث قدّم محاضرة عن دور الأندلس في إعلاء الحياة الفكرية في العالم الإسلامي الشرقي وطاف بالآثار الإسلامية بالأندلس، وألهمته ثلاث قصائد ضمَّنها ديوانه (جناح جبريل)، وسُمح له بالصلاة في مسجد قرطبة، وكان أول مسلم يصلي فيه منذ أن أُغلق بعد اندثار حضارة الإسلام في الأندلس. ومن أثر ذلك نظم قصيدته المشهورة (في مسجد قرطبة). وفي 1933/10/10م أذاع نصاً قال فيه: إن نشر التعليم في أفغانستان يقود إلى تحقيق الوفاق بينها وبين الهند وانتقد نظام التعليم بصيغته العلمانية قائلاً: إنه لم يجلب نتائج حسنة وسط مسلمي الهند .[2]

قاد إقبال جمهرة واسعة من مسلمي الهند لقبول آرائه العلمية في انفصال دولة باكستان عن الهند، ولكنه لم يدع أنصاره ليسيروا في طريق طويل ينتهي بهم إلى

1- محمد إقبال،سيرته- فلسفته - شعره،عبدالوهاب عزّام،ص:41.

2- مملكة البيان،عائض بن عبد الله القرني،ص:117.

المتاهات والصراعات والمعاطب والمهالك المرعبة، وإنما اقترح عليهم البدء بخطوات أولى – لابد منها – لكي يتمكن المسلمون من تحقيق استقلال فعلى ودعا إلى التمهيد لذلك بوسائل ثلاث حتى يصل المسلمون إلى هدفهم المنشود، وهي:

1- إنشاء رابطة الشباب والمتطوعين لإنجاز هدف هام ويتمثل في تحرير الفلاحين المسلمين من الديون التي ترهنهم لملاك الأراضي فالدّين استعباد حقيقي للإنسان.

2 – وإنشاء معاهد تعليمية في المدن الإسلامية لتعليم النشء المسلم من الجنسين خصائص الإسلام وتراثه في الهند، وما هو مرجو من هذا الدين الحنيف من آمال لإنقاذ إنسان الهند وإنسان العصر الحديث، وقد أكد إقبال على أهمية المعاهدة لأنها ستستعيد للإسلام ذراريه التي ربما تخطفها التعليم العلماني كما ستُنجب القيادات القادمة لمسلمي الهند.

3- إنشاء مَجْمَع فقهي للاجتهاد يضم علماء المسلمين في مجالات الشريعة والقانون والعلوم الاجتماعية الحديثة، وذلك من أجل وضع دستور وقوانين ملائمة للدولة الإسلامية المقترحة، وتخطيط تصورات فرعية لمجالات عمل الدولة الإسلامية في إطار تحديات العصر الحديث.[1]

كان إقبال شديد الإحساس بريادته الفكرية والأدبية الدعوية ولذا كان ينشد:

دُونَ عصري كُلُّ سِرٍ قَدْ خُفِي *** مَا بِهذا السُّوقُ يَشْرِي يُوسُفي
أنا فِي يَأسٍ من الصُّحبِ القديم *** مِشْعلُ طُوري لِيَغْشَاهُ الكَلِيم
كَمْ تَجَلَّى شاعرٌ بعد الحِمام *** يُوقِظُ الأعيُنَ حيناً وينام
وِجهةٌ من ظُلمةِ الموتِ سَفَر *** ونَما من قبرهِ مِثلَ الزَّهر

ولعله كان يومئ إلى هذا العصر الذي انتشر فيه شعره ولقي التفهم والاهتمام.[2]

1- شكوى وجواب،محمد وقيع الله أحمد،ص:104 – 105.

2- المرجع نفسه،ص:110 – 111.

وفاته:

في عام 1933م أخذت صحة إقبال في التدهور، ولكن قواه العقلية ظلت على مضائها، وواصل إنجاز مشروعات فكرية منها: كتاب (الإسلام كما أفهمه) وهو كتاب لم يُكتب لإقبال أن يكمله وقضى إقبال سنواته الأخيرة في تنشيط المسلمين وتفعيل الرابطة الإسلامية في البَنْجَاب، وتوحيد جهودهم في منظمة واحدة، ولم يبال بقوة الإقطاعيين المسلمين الذين كانوا يتنافسون ويتوزعون أصوات الناخبين المسلمين فيبددونها هباء.[1]

توفي إقبال وعمره سبع وستون سنة. وقد كانت وفاة إقبال حسرةً على مسلمي الهند بما فقدوا المرشد الهادي وافتقدوا الدليل الحادي وبما حرموا هذا النبوغ الثرّار، بل النهر المدرار.[2]

المحور الثاني: مصادر ثقافة محمد إقبال

تضافرت عدة عوامل أسهمت بصورة واضحة في تكوين شخصية محمد إقبال الفنية، وساعدت في بناء أفكاره وتوجيه مشاعره، وتشكيل ملامحه الأدبية، والفلسفية. فمنها العوامل الداخلية والخارجية. فقد مرّ شاعرنا بمراحل حياتية أحدثت تحولاً كبيراً في مفاهيمه، وأنالته مكان الزعامة الفكرية، والصدارة العلمية في التجديد والابتكار. فالمرحلة الأولى ماقبل اتصاله بعلوم وثقافة وحضارة الغرب، والثانية بعد اتصالها بالحضارة الغربية.

يعود الفضل في عبقرية ونبوغ وظهور شاعرنا محمد إقبال إلى البيئة الأولى من حياته التي نشأ وترعرع فيها حيث تكونت أفكاره، وتشكل وجدانه. فمنحته تلك البيئة المحافظة الإيمان الذي أمده بالقوة الروحية، وأنار له الطريق المعرفة، وفجّر فيه الإرادة، والتفكير المعتدل، والحكمة العميقة.

1- المرجع نفسه، ص:104 – 105.

2- محمد إقبال،سيرته– فلسفته – شعره، عبدالوهاب عزّام،ص:52 – 54.

كان لنشأته في تلك البيئة المسلمة أثره الواضح في نضج أفكاره، وتوجيه عواطفه ومشاعره نحو الخير، والحق. فكان بفضل تأثير تلك البيئة أن صار أديبًا ذا أسلوب فريد، وفيلسوفًا عظيمًا، ومؤلفًا كبيرًا، وشاعرًا مجيدًا؛ فخلدت أثاره، ونفذ من خلالها إلى العقول والقلوب.

ردد محمد إقبال مرارًا أنه لولا تلك البيئة لما تكونت عقليته، وأخلاقه، وشخصيته، وصرح في أكثر من مرة[1]: "أنه لولا تربيته الإيمانية؛ لما ظهرت شخصيته، ولما اشتعلت مواهبه، ولا نضجت رسالته، ولا تفتحت قريحته".

يرى عدد من الذين تناولوا سيرة ومؤلفات محمد إقبال أن المكون الرئيس الذي استلهم منه فلسفته الذاتية هو القرآن الكريم الذي يقول في ذلك المودودي[2]: إن كل ما يفكر فيه إقبال، كان القرآن، وكل ما كان يراه، كان يراه بعين القرآن". تأثر محمد إقبال كثيراً بروحيَّة والديه بسبب عنايتهما الكبيرة بعلوم التزكية والإحسان، فأثَّرت بذلك في توجيهه الفلسفي الصوفي المستقبلي، ومما نُقل عن إقبال في آخر عمره أنه قال: إن فلسفته في مجال فلسفة الحياة الكونية لم يكوِّنها بالاطلاع والتأمل؛ وإنما بتأثير تربية والديه له وإن اهتمامه بمطالعة القرآن وتأمله والتبصُّر فيه كان بتوجيه والديه له، فقد قال في ذلك[3]: يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعرٍ ونثرٍ إلى توجيهات أبي رحمه الله، فقد عودني على تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح من كل يوم، وكان كلما رآني سألني عمَّ أفعل، فأجيبه بأني أقرأ القرآن الكريم، كان يعاود إلقاء هذا السؤال في صبيحة كل يوم، وأجيبُه بنفس الجواب، فقد دفعني الفضول والضجر إلى أن أقول لوالدي يوماً: يا والدي إنك

1 – ديوان محمد إقبال، إعداد. سيد عبد الماجد الغوري،ج1،ص:29.

2 – ديوان هدية الحجاز، محمد إقبال، تعريب. سمير عبد الحميد إبراهيم، المكتبة العلمية،لاهور، 1976، ص:21.

3 – ديوان محمد إقبال،إعداد. سيد عبد الماجد الغوري،ج1،ص:34.

تراني أتلوا كتاب الله فلم تسألني هذا السؤال، وأنت تعلم جوابي؟ فقال رحمه الله: بل أردت أن أقول لك: أقرأ القرآن وكأنه أُنزل عليك. ومنذ ذلك الوقت بدأت أفهم القرآن وأقبل على دواخل كلماته ومعانيه، فكان من أنواره ما اقتبست ومن بحره ما نظمت.

كان من نتاج تعلقه بالقرآن وارتباطه الدائم به أن لقّب بالشاعر القرآنيّ: "لكثرة ما ورد في شعره من المصطلحات، والكلمات، والقصص القرآنية. وكان تضمينه لآيات القرآن، وكلماته يدل على عمق فهم الشاعر لكتاب الله، الذي كان يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار مع التأمل في آياته، واستشعار عظمة الله عز وجل" .[1]

إضافة إلى ذلك فقد أرجع د. سيد عبد الماجد المكونات التي شكلت شخصية محمد إقبال إلى:[2]

– أيمانه الشديد بالإسلام ورسالته، وحبه العميق للرسول(صلى الله عليه وسلم)، واتصاله الروحي بالنبي (صلى الله عليه وسلم)؛ الذي ألهمه معاني شعرية عجيبة.

– معرفته العميقة للنفس البشرية، والغوص في أعماقها، والاعتداد بقيمتها كقوله[3]: انزل في أعماق قلبك، وادخل قرارة شخصيتك، حتى تكشف سر الحياة. أنصف نفسك ياهذا!. واعرفها، وكن لها وفيًا، ما ظنك بعالم القلب، وهو كلُّه حرارةٌ وسكر، وحنان وشوق، أما عالم الجسم فتجارةٌ وزورٌ، واحتيال، إن ثروة القلب لا تفارق صاحبها، أما ثروة الجسد فظلٌّ زائل، ونعيمٌ راحل؛ إذ قال لي حكيم: إذا خضعت لغيرك؛ أصبحت لا تملك قلبك، ولا جسمك".

---

1 – الشاعر والمفكر محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي،فهمي النجار، ط1، دار العبيكان، 2011، ص:105.

2 – ديوان محمد إقبال،إعداد.سيد عبد الماجد الغوري،ج1،ص:29–32.

3 – المصدر نفسه،ص: 35.

– قيامه في آخر الليل، يناجي ربه، ويشكو بثه وحزنه إليه، ويتزود بنشاط روحي جديد، وإشراق قلبي جديد، وغذاء فكري جديد، فيطلع على أصدقائه وقرائه بشعر جديد، يلمس الإنسان فيه قوةً جديدةً، حياة جديدة، ونورًا جديدًا؛ لأنه يتجدد كل يوم، فيتجدد شعره، وتتجدد معانيه.

– استعانته في صراعه الفكري الشديد بين عقله المتمرد وعلمه المتجدد؛ وبين قلبه الفائض بالإيمان بـــ(المثنوي المعنوي)[1*]. ساعده في الدفاع عن عاطفته وقلبه دفاعًا مجيدًا، وحلّ به كثيرًا من ألغاز الحياة.

– أخذه بثقافة عصره من علوم الغربين، وثقافتهم، وحضارتهم، حتى أصبح من أفذاذ الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية .[2]

تلك هي المصادر التي كونت شخصية محمد إقبال الفكرية والروحية، وشكلت ملامح وجدانه، فقد وظف إقبال تلك التجارب، والخبرات، والمعلومات التي استقاها من مسيرته الحياتية في ترسيخ عقيدته، وإيمانه القوي، وخلقه المستقيم، وتفكيره السليم، ورسالته الفاضلة.

انصرف إقبال بعد أن تكاملت لديه أسباب النبوغ وعوامل التفوق في التأليف والكتابة، إلى النظم بالفارسية رغبة منه في أن يتلقى عنه عدد من المسلمين ويوسع الآفاق التي يذيع فيها دعوته لأنه بنظمه في الفارسية يجد من يتلقى عنه إضافة إلى

1* ديوان شعر بالغ الإسهاب باللغة الفارسية لجلال الدين محمد المشهور بالرومي. يعني بالعربية النظم المزدوج في القصيدة، إذ يتخذ شطرا البيت الواحد قافية خاصة، ويكون لكل بيت قافيته الداخلية، وبذلك تتحرر القصيدة من القافية الموحدة.

2– ديوان محمد إقبال،إعداد.سيد عبد الماجد الغوري،ج1،ص:27.

شبه القارة الهندية متلقياً في إيران وأفغانستان على أن الفارسية لغة معلومة في هذه البلاد.[1]

كانت بداية الشعر الأردوي سنة 1450م وقد برز مئات الشعراء، لم تنجب اللغة الأردوية شاعراً كمحمد إقبال يتسم شعره بسهولة الأسلوب، ووضوح العبارات، وقوة المعاني وسرعة التأثير.[2]

في مهرجان إقبال المئوي المنعقد في مدينة لاهور تحت إشراف حكومة باكستان عام 1977م نجد أنَّ ما صَدر عن محمد إقبال من الكتب والرّسائل في لغات العالم قد بلغ ألفان عدا ما نشر من البحوث والمقالات وما ألقي من محاضرات في مجالات مختلفة وحفلات أدبية مختلفة وبذلك فقد فاق محمد إقبال كبار شعراء العالم شكسبير الإنجليزي، ودانتي الإيطإلى)، (طاغور الهندي)، فلم يكتب أحد منهم معشار ما كُتب عنه.[3]

قد رُزق محمد إقبال الاحترام والتقدير بين ملايين المسلمين في الهند وباكستان يعتقدون فيه ما تعتقده الأمة في المرشد الملهم، والباحث المتحرر والقائد الرّائد، والمفكر المصلح، والفيلسوف المنقذ، ولم يُرزق هذا الاحترام أحد من مسلمي شبه القارة قبل العشرين لا في الهند فحسب بل في جميع العالم الإسلامي .[4]

1- المرأة في الشعر العربي والفارسي والتركي، دراسة في الأدب المقارن،حسين مجيب المصري،مكتبة الأنجلو المصرية،1989م،ص:321 -322.

2- المرجع نفسه، ص:322.

3- ديوان محمد إقبال،إعداد.عبد الماجد الغوري،ج1،ص:5 – 6.

4- المصدر نفسه، ص:6.

المحور الثالث: مظاهر ثقافة محمد إقبال

أولاً: محمد إقبال في نظر علماء عصره:

عقد د. عبد الماجد الغوري فصلًا في مقدمة ديوان محمد إقبال تحت عنوان[1]: محمد إقبال عند رجال الفكر والدعوة، وأساطين العلم والأدب. حيث أورد مجموعة من الآراء التي تظهر مكانة محمد إقبال في نظر مفكري، وعلماء، وأدباء عصره.

قال الأستاذ عباس محمود العقاد: ... إن إقبال هو طراز العظمة التي يتطلبه الشرق في الوقت الحاضر، وهو زعيم العمل بين العدوتين الدنيا والآخرة قوّام بين العالمين كأحسن ما يكون القوّام!.

قال فيه د. طه حسين: ... شاعران إسلاميان رفعا مجد الآداب إلى الذروة، وفرضا هذا المجد الأدبي الإسلامي على الزمان، أحدهما إقبال شاعر الهند وباكستان، وثانيهما أبو العلاء شاعر العرب.

قال د.عبد الوهاب عزّام: ... لا أعرف كشعر إقبال، معرفًا بالحياة، داعيًا إليها، معظمًا الإنسان، مشيدًا بمكانته في هذا العالم، نافثًا الأمل، والهمة، والإقدام في نفوس الناس.

قال د. محمد حسنين هيكل: ... فقد طلع هذا الرجل على العالم الإسلامي، وعلى العالم كله بفلسفة جديدة صاغها شعرًا، فإذا هي تهزّ المشاعر والقلوب، وهي تثير كثيرين من عظماء العالم، فينظرون نظرات إعجاب إلى هذا المسلم الذي ولد في الهند.

قال أحمد حسن الزيات: ... فإذا حسان شاعر الرسول(صلى الله عليه وسلم)، فإن إقبالًا شاعر الرسالة، وإذا كان في الشعراء الصوفيين من عطّر مجالس الذكر

1- المصدر نفسه،ص:13-16.

بفضائل الإسلام، وشمائل النبوة، فليس فيهم من بلغ مبلغ إقبال في فقه الشريعة، وعلم الحقيقة، والتأمل الفلسفي في كتاب الله، والنظر العلمي في كلام الرسول(صلى الله عليه وسلم)، والجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب في قوة تمييز، وسلامة فهم، وصحة حكم.

قال العلامة أبوالحسن علي الندوي: ... أشهد نفسي أني كلما قرأت شعره جاش خاطري، وثارت عواطفي، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره، وأدبه في نظري.

وفيه قال د.أحمد الشرباصي: ... ولم أر شاعرًا يتصور للمسلم صورة مثالية عالية كتلك التي يرسمها إقبال في مواضع كثيرة من شعره، إنه يصوّر المسلم حينًا كأنه ماء في رقته، وحديد في شدته يهزأ بالصعاب.

وقال نجيب الكيلاني: ... أراد للشعر أن يمتزج بألوان الفكر، وادق النظرات، وحقائق الوجود، وكنه الكائنات، وأن يناجي النسائم، ويصقل العقول، ويسطر وثائق الكفاح، ويحكم في قضايا الناس والمدنيات. إن إقبالًا ينشد مزج الخيال برحيق الحقائق، والتقاء العقليات مع العاطفيات...

قال الشيخ صاوي شعلان: ... لم يهتم شاعرٌ غير عربي قبل محمد إقبال بأمجاد العرب والإسلام اهتمامه بهما، فهو الذي فتح الباب على مصراعيه في هذا المجال أمام الذين عاصروه، ومن جاء بعده من الشعراء.

أما محمد الرابع الحسني الندوي فقال: ... شاعر الإسلام محمد إقبال، شاعر ذو مكانة رفيعة بين أقرانه، وهو نابغة في الفكر، والخيال، والفلسفة، والفن جميعًا، له آراء حصيفة، ونظرات عميقة في حياة الإنسان، ومكان المسلم في العالم، كلامه في غاية القوة والأثير يقع في نفس القارئ والسامع موقعًا عظيمًا، ولأفكاره قيمة، وأهمية كبيرة للعالم الإسلامي والأمة الإسلامية.

د. سعيد الأعظمي الندوي قال: ... وقد تفتحت قريحته الشعرية، وتفجرت ينابيع الشعر في كيانه، بعد أن درس الكون، والحياة، الإنسان دراسة واعية عميقة من خلال كتاب اللهن وسنة رسوله(صلى الله عليه وسلم)؛ فقام كشاعر ثائر على الأوضاع الفاسدة، ويدافع عن الإسلام وتعاليمه بكل ما أوتي من موهبة شعرية، وقوة أدبية، وينادي بالوحدة الإسلامية، والتضامن الإسلامي بشعره القوي الزاخر بالمعاني الغزيرة. والمفاهيم العالية.

ثانيًا: آثار محمد إقبال:

خلَّف شاعرنا العظيم أعمالاً أدبية عظيمة منها الدواوين الشعرية والكتابات النثرية. حيث كتب محمد إقبال الشعر باللغتين: الفارسية والأردية.

لم تنجب اللغة الأردية شاعرًا وأديبًا كمحمد إقبال، إذ يتسم شعره بسهولة الأسلوب، ووضوح العبارة، وقوة المعاني، وسرعة التأثير. وقد طبعت دواوينه مئات المرات.[1]

أما كتابته النثرية فهي أنواع عديدة منها: الرسائل العلمية مثل: تطور ما وراء الطبيعة في فارس (رسالة في ميونخ) باللغة الإنجليزية. والمحاضرات منها: فمحاضراته التي ألقاها في مدينة مدارس طبعت بالإنجليزية باسم: تجديد الفكر الديني الإسلامي. ومجموعة محاضراته في جامعة كامبردج اعتنى بها المستشرون اعتناءً عظيمًا، وعلقوا عليها أهميةً كبيرةً. في ألمانيا وإيطاليا أنشئت مجامع وهيئات باسمه لدراسة شعره وفلسفته. والرسائل المتبادلة ومقالاته طبعت بعد وفاته.

خلف محمد إقبال من الأشعار تسعة دواوين منها خمسة دواوين باللغة الفارسية؛ لأنها أوسع من الأردوية، بالإضافة إلى أنها اللغة الإسلامية الثانية بعد اللغة العربية. وتلك الدواوين وهي: الأسرار والرموز، ورسالة المشرق، وزبور العجم،

1 – ديوان محمد إقبال،إعداد.عبد الماجد الغوري،ج1،ص:5.

ورسالة الخلود، ويا أمم الشرق. وأربعة دواوين باللغة الأردية، وهي: صلصلة الجرس، وجناح جبريل، وضرب الكليم، وهدية الحجاز.

هذه المجموعة الكبيرة من الأعمال، والمؤلفات، التي خلفها محمد إقبال في الشعر، والنثر، رزقته حب واحترام وتقدير الملايين من مسلمي بلاده، بوصفها تُراث عظيم في الأدب الفارسي والأردي؛ لاشتمالها على ألوف المعاني، والأفكار الجديدة، المضامين البديعة .[1]

1- ديوان الأسرار والرموز(1915) :

يعتبر باكورة أعمال محمد إقبال الشعرية بالفارسية، يدعو فيه إلى وجوب دعم الذات حتى تقوى وتعِد نفسها لكفاح دائم متواصل لا يعرف أناة، ولا هدوءاً وفي نظره أنَّ الجهاد الدائم هو حافظ للحياة، ويصرح فيه بأن الأقوام المغلوبة هي التي خدعت الأقوام الغالبة عن نفسها وزينت لها فكرة نفي الذات[2]. حيث يقول:[3]

أيها الصارخ من جور الدهر يا زجاجًا يشتكي جور الحجر
فيم هذا النواح؟ ماذا المأتم؟ وإلام الصدر حزناً تلدم؟
قم فشيد عالمًا دون مثيل وخض النار وأقدم كالخليل
إنما السير على حكم الزمان رمي الترس في وقت الطعان
إذا الدنيا عتت عن أمره حارب الدهر، ولم يعبأ به
يهدم الموجود فيما آثرا يمنح الذرات شكلاً آخرا
يصرف الأيام عن كرّاتها يمنع الأفلاك من دوراتها
خالقاً من قوة في قلبه ذلك العصر الذي يرضى به

2- رسالة المشرق(1923):

طُبع هذا الديوان أول مرة عام 1923م وكتب الشاعر فوق عنوان الديوان (لله المشرق والمغرب) قدَّم إلى اللغة الفارسية مجموعة من الأشعار تحتوي على

1 - المصدر نفسه،ص:6.

2- المصدر نفسه،ص:6.

3- ديوان الأسرار والرموز،محمد إقبال،تعريب.د.عبد الوهاب عزام،د.ط،د.ت،ص:43-44.

مختلف أقسام الشعر الفارسي من الغزل الرباعي والقطع والمثنوي، والديوان روضة من الشعر تختلف أزهارها وأنوارها وضروب النبات فيها وألوانه، وصنوف الريحان فيها وروائحه.[1]

حيث يقول عن استقلال الذات وقوتها واعتمادها على النفس، فالذات كالصقر،المهم على الإنسان أن يكون أبيًّا غيورًا على القيم والسجايا، والحياة جهاد وصبر، ومحنة واجتهاد، فالاعتماد على الذات هو طريق النمو :[2]

تعلم بني بأن الصقور لها قلب ليث وجسم صغير
فكن محكم الرأي شهمًا جسورًا عليّ السجايا أبيًّا غيورا
بغاث الطير اهجرنها بعيدًا ودعها إذا لم ترد أن تصيدا
فتلك الرعاديد نسل اللئام تدس مناقيرها في الرغام
فنفسك فاحفظ وعش في جذل جريئًا متينًا قوي العضل
متاع الحياة، تعلم، جهاد وصبر على محنة واجتهاد

3- زبور العجم(1927):

هذا الديوان مجموعة نفيسة من المنظومات الفارسية وقصد بها غرس الروح الجديدة في العالم ولاسيما في وسط الشباب وشعوب الشرق ويتجلى فيه إبداع الشاعر وكمال فنه.

فهو يرى أن الجبر وهم وظن. فلا روح بلا إرادة. ومسارات الذات من الجبر إلى الاختيار، ومن الأرض إلى السماء، ومن الطين إلى الروح. بهذا التحول تمتلك الدنيا. حيث يقول محاولاً غرس قيمة عدم التسليم والاستسلام :[3]

وهذا الجبر وهم أو ظنون بغير إرادة روح تكون
تصول بعالم للكيف والكم وعن جبر إلى المختار تقدم
وذاك الجبر منه إن أفاقت لها الدنيا كتلك النوق ساقت

1- محمد إقبال،سيرته- فلسفته - شعره،عبدالوهاب عزّام،ص:135.

2 - ديوان رسالة الشرق،محمد إقبال،تعريب. د.عبد الوهاب عزام،د.ط،د.ت،ص:286.

3 - ديوان زبور العجم،محمد إقبال،تعريب.حسين مجيب المصري،د.ط،د.ت،ص:391.

4- هدية الحجاز(1938):

هذا الديوان عبارة عن الشعر الفارسي والأردوي معاً ويتألف من قصائد كثيرة أكثرها شخصية فيه قصيدة بعنوان (برلمان إبليس) وصف الشاعر جلسة برلمانية؛ حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسي، وترأس هذه الجلسة إبليس، ووصف فيها الوصف الدقيق للمسلم ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسية وزعمائها ما يفيد الاطلاع عليه وقد طُبع هذا الديوان بعد وفاة الشاعر، أما القسم الثاني من هذا الديوان يحتوي على قصائد بديعة ورباعيات قصيرة بالأردوية.[1]

قال ليس الخطر من المسلمين أنفسهم إنما الخطر الحقيقي فإنه قادم من غير المسلمين الذين يبحثون عن الحلول المفقودة لمشكلات العالم ؛ فإذا وقعوا على القرآن وتأملوا فى عجائبه سيجدون بين سطوره حلولا لمشكلاتهم ونورا يهتدون به فى حالك الظلمات. وهذا هو معنى هذه الأبيات: [2]

لكن خوفي من سؤال العصر في دنيا الغَدِ ..
أخشى يسير به السؤال إلى كتاب محمدِ..
الخوف من أعدائه أن ينظروا لكتابه ..
والخوف كل الخوف إن سرقوه من محرابه..
الخوف كل الخوف إن كسروا حواجزنا إليه ..
الويل ثم الويل لِلَهب الذي نمتم عليه..
هوذا ابن آدم قادم ولقد عرفتم من أبوه..

5- رسالة الخلود(1932):

يُعد هذا الديوان التحفة الأدبية لمحمد إقبال وهو عبارة عن شعر مثنوي للفلسفة الدينية ويحتوي على نحو ألفي مقطع شعري مزدوج، ويبرز قُوى الشاعر الفكرية وذُراها الرفيعة وفيه تورية إلى (جاويد) نجل الشاعر، وفي هذا الديوان قصة سفر

1- ديوان محمد إقبال،إعداد.عبد الماجد الغوري،ج1،ص:7.

2- ديوان هدية الحجاز،محمد إقبال،ص:110.

في الأفلاك كقصة دانتي الشاعر الإيطالي[1]. وقال موجهًا حديثه إلى شباب الأمة الإسلامية ممثلًا في ابنه جاويد :[2]

درْسكَ الأول أمٌّ لقنتْ بالنسيم بُرعمًا قد فتّحتْ
ونسيم الأمِّ هذا عطّرك فعززتَ، وبحسن صوَّركْ
دولةٌ للخلد منها نلتها عَلَّمتْكَ (لا إله) قُلتها
يا بُنيّ أنت خُذ عنّي النظرْ واحترق من (لا إله) في الشررْ
(لا إله) قُلْ ومن روح عميق ليكون الجسم كالمسك الفتيقْ
إنها شمسًا وبدرًا قد أدَارَتْ شعلة القش في الأطواد صارتْ

6- يا أمم الشرق(1936):

منظومات مثنوية نشرها بعد استيلاء إيطاليا على الحبشة ومنظومات هذا الديوان في جملتها رائعة بليغة نفثها الشاعر حيث ملأت أحوال المسلمين فؤاده أسىً عليهم وينصح فيه الأمم الشرقية بإقامة الروابط الاقتصادية والثقافية فيما بينهم والعودة إلى أحكام الإسلام وإطاعة الأوامر القرآنية هو الطريق الوحيد للنجاة[3].حيث يقول مخاطبًا زعماء العرب بان يتوحدوا ويتركوا الفرقة:[4]

شعب العروبة والمجد المؤثل في بدو وفي حضر حتى ضحى المحشر
من الذي حرر الدنيا لخالقها وأسمع الخلق لا كسرى ولا قيصر؟
من قبلكم أبلغ الآيات ناطقة بوحي من خلق الدنيا وسواها
من غيركم رفع المصباح مؤتلقًا ووحد الخلق لما وحد الله
ولم يطعم الناس إلا في موائدكم علمًا شهيًا وتهذيبًا وعرفانا

1- ديوان محمد إقبال،إعداد.عبد الماجد الغوري،ج1،ص:7.
2- المصدر نفسه،ص:326.
3- محمد إقبال،سيرته- فلسفته – شعره، عبدالوهاب عزّام،ص:139.
4 – ديوان يا أمم الشرق، تعريب.أحمد الغازي، صاغه شعرًا.صاوي شعلان المصري.ص:382.

7- صلصة الجرس(1934):

هذا من باكورة أعماله الشعرية بالأردوية وهو من أكثر دواوينه رواجًا وقراءة إلى اليوم، فيه قصائد بديعة للأطفال والحب بالطبيعة، كما أنه حث المسلمين فيه على التضحية والعمل لكي يستعيدوا منزلتهم من المجد والرفعة.

ومن أروع أناشيد هذا الديوان قصيدته المشهورة: شكوى وجواب شكوى.حيث يقول :[1]

قيثارتي ملئت بأنات الجوى لابد للمكبوت منفيضان
صعدت إلى شفتي بلابل مهجتي ليبين عنها منطقي ولساني
أنا ماتعديت القناعة والرضا لكنما هي قصة الأشجان
أشكو وفي فمي التراب وإنما أشكو مصاب الدين للديان
يشكو لك اللهم قلب لم يعش إلا لحمد عُلاك في الأكوان

8- جناح جبريل(1936):

لا يوجد في الأدب الأردوي ما يمكن مقارنته بهذا الديوان من حيث العمق وسعة المطلب والبيان، ويحكي فيه الشاعر خواطره الخاصة عن أسفاره إلى أسبانيا وفلسطين وبكاءه على إطلال قرطاجنة وغيرها من الآثار الإسلامية التاريخية .[2]

وما يلفت النظر في هذا الديوان هو الجزء الخاص منه عن المحاورة بين الشاعر وجلال الدين الرومي، ويوضح لنا هذا الحوار أهم عقائد وأفكار محمد إقبال.[3]حيث يقول:[4]

وما المعنى ليومك أو ليومي بلا ليل يكون ولا نهار

---

1 – ديوان صلصة الجرس،محمد إقبال، إعداد .د.سيد عبد الماجد، مؤسسة إقبال، الهند، ج1، د.ت، ص:93.

2- ديوان محمد إقبال،إعداد.عبد الماجد الغوري،ج1،ص:8.

3- المرجع نفسه، ص:8.

4- ديوان جناح جبريل، محمد إقبال،تعريب.عبد المعين الملوحي، وصاغه شعرًا. زهير ظاظا، د.ت، ص:477.

إذا عبر النبوغ بأرض قوم تولى مثل زوبعة الغبار
حكاية كوننا وهم وظن وهذي كل أطوار الحكاية

9- ضرب الكليم(1937):

نشرت سنة 1937م ولم ينشر في حياته ديوان بعده ويتعلق بالعصر الحديث ومشكلاته ويبين وجهة النظر السياسية لمحمد إقبال والديوان كله مفصل على أبواب فيها نظرات الإسلام والتربية والمرأة والفنون الجميلة وغيرها، وفيه فلسفة محمد إقبال واضحة ظاهرة في أشعار معينة في موضوعات محددة[1]. فالمرأة عنده نموذجان: الأول المحجبة رمز النهوض. والثاني مقلدة للغرب، وهي السافرة التي تمثل أحد مظاهر الاغتراب التي حاول الكثير حل قضيتها :[2]

كم حكيم قد تمنى حله مشكلة المرأة في هذي الحياة
لا تلمها في فساد شائع شهدت بالطهر كل النيرات
عشرة الأفرنج نهج مفسد جهل الحمقى طباع المحصنات

قد تُرجمت جميع هذه الدواوين إلى اللغة العربية، وقد نجح مترجموها بالعربية من الناحية الفنية إلى حد بعيد ولكن القارئ النبيه الفطن قد يلاحظ أن هذه الأشعار المترجمة تكاد لا تؤثر في نفسه تأثير الشعر الرقيق ولا تعطي صورة واضحة كاملة، ويغلب عليها رونق اللفظ على عمق المعنى. وشعر محمد إقبال في اللغة الفارسية والأردوية على السواء يركز على المعني الواسع في عبارات موجزة هي أشبه بالكلمات القصار التي يسهل حفظها وتداولها على الألسن، فإذا ما ترجمنا هذا الشعر إلى شعر عربي يفضل الإيجاز على الإطناب والإسهاب فإننا نزيد من تركيز الشعر بشيء من الغموض يذهب بتأثير الشعر وروعته.[3]

1- محمد إقبال،سيرته- فلسفته - شعره، عبدالوهاب عزّام، ص:139.
2- ديوان ضرب الكليم،محمد إقبال،تعريب.د.عبد الوهاب عزام،د.ط،د.ت،ص:66.
3- ديوان محمد إقبال،إعداد.عبد الماجد الغوري،ج1،ص:8 - 9.

نخلص إلى أن شاعرنا قد جمع لنفسه، قوة علم العلماء، بوفرة وكثرة المعلومات، وزياد الذكاء، وقوة شاعرية الشعراء بحسن اختيار الألفاظ، ودقة المعاني، وسعة مطالعة ومدارسة المؤلفين، وحسن إلقاء المعلمين واستحضار مادتهم، وبراعة خطابة المصلحين، وأساليب السياسة، والحكمة، واللباقة، وبقوة الحب والإخلاص للغاية؛ إنها الغاية التي حلت في قرارة نفسه، وسرت منه مسرى الروح، وملكت عليه قلبه وفكره، فقهر شهوته، فإذا تكلم تكلم عن لسانها، وإذا كتب كتب بقلبها، وإذا فكر؛ فكر بعقلها، وإذا أحب، أو أبغض فبقلبها.

الخاتمة :

قد توصلت الدراسة إلى إن أهم مصادر ثقافة محمد إقبال والتي أثرت في شاعريته تعود في الأصل إلى:

- حفظه المبكر للقرآن الكريم، وإقباله على دراسة العلوم الدينية أسهم في نضجه نبوغه، وأعانه في (1937.(
- أسهمت البيئة الدينية التي نشأ فيها بمده بالكثير من القيم والمبادئ الإنسانية.
- كان لمعرفتة الدقيقة بعلوم الفارسية والإردية والعربية وبعض لغات الغرب دورها الفاعل في تشكيل ملامح شخصيته الأدبية.
- معرفته الدقيقة بالمثنوي المعنوي ساعده في صراع العقل والقلب حيث انتصرت قوة القلب.
- كان لاتصاله المباشر بالحضارة الغربية والامتزاج بمجتمعاتها أثره الواضح نضج تجربته.
- كان لتجاربه الذاتية دورها في نضج فلسفته الذاتية.

المصادر والمراجع:

1- ديوان الأسرار والرموز، محمد إقبال، تعريب. د.عبد الوهاب عزام، د.ط، د.ت.

2- ديوان جناح جبريل،محمد إقبال، تعريب. عبد المعين الملوحي، وصاغه شعرًا. زهير ظاظا، د.ت.

3- ديوان رسالة الشرق، محمد إقبال، تعريب. د.عبد الوهاب عزام، د.ط، د.ت.

4- ديوان زبور العجم، محمد إقبال، تعريب. حسين مجيب المصري، د.ط، د.ت.

5- ديوان صلصة الجرس، محمد إقبال، إعداد. د.سيد عبد الماجد، مؤسسة إقبال، الهند، ج1، د.ت.

6- ديوان ضرب الكليم، محمد إقبال، تعريب. د.عبد الوهاب عزام، د.ط، د.ت.

7- ديوان محمد إقبال، إعداد. سيد عبد الماجد الغوري، ط3، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، 2007، ج1.

8- ديوان هدية الحجاز، محمد إقبال، تعريب. سمير عبد الحميد إبراهيم، المكتبة العلمية، لاهور، 1976.

9- ديوان يا أمم الشرق، تعريب. أحمد الغازي، صاغه شعرًا. صاوي شعلان المصري.

10- الشاعر والمفكر محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي،فهمي النجار،ط1،دار العبيكان، 2011.

11- شكوى وجواب شكوى،محمد وقيع الله أحمد،جامعة خليفة،الشارقة،د.ط،د.ت.

12- محمد إقبال،سيرته – فلسفته– شعره، عبدالوهاب عزّام، مؤسسة هنداوي،2012م.

13- المرأة في الشعر العربي والفارسي والتركي، دراسة في الأدب المقارن،حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو

14- مملكة البيان، عائض بن عبدالله القرني، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1 1422هـ – 2001م.

15- النهر الخالد، جاويد إقبال، تعريب. ظهور أحمد أظهر، مراجعة. عبد اللطيف سهيل الخياط، د.ت.